والمصلحين . فلما رحلوا قبل البعثة المحمدية إلى الشام وأطراف العراق رأوا عند إخوانهم ملوك العرب ما يشجع على الكسب والترف والنعيم ، فعاش شعراؤهم على مقربة من هؤلاء الأمراء يتناولون من هداياهم ويتناولون بشعرهم عطايا وجوائز ، فكان مديح الملوك ، وكان المديح السياسى على شكل قبلى ينتصرون للغساسنة حيناً وللمناذرة حيناً ، ويضيفون بذلك إلى ديوان المديح قصائد خالدة من غرر الشعر .

وظهر الرسول الأعظم فانقسم العرب فى اتباعه ، ووقف فريق معه وفريق راح يناضله ؛ فنشأ شعر دينى إسلامى فى المديح يشيد بالرسالة والدعوة والرسول ، ويكبر الخلق الرفيع والبطولة الخارقة ويبشر بالدين الجديد فيمدح مزاياه ، ويمهد الطريق للشعراء الإسلاميين بعده على مدى القرون فى امتداح الإسلام والنبى الكريم .

ولما كان الفتح وانتقل المسلمون إلى الشام نقلوا عصبيتهم ونزعاتهم القبلية فانصرفوا إلى حروب مذهبية ودينية وسياسية ، وأكثروا فيها من ذكر الأبطال والقواد والملوك والأمراء ، وغذاهم خلفاء الأمويين بالذهب فانبسطت رقعة المديح السياسى والاجتماعى والدينى . ولما انتقلوا إلى العراق كثر هذا المديح وتنوع ؛ فدخل الترف وولدت طبقة ناعمة غنية وطبقات متوسطة تعيش بقربها وتستفيد من جوارها ونعمها ، وطبقة بائسة لا تصل إليها ولا تبلغ مجالسها ، فتمدح من فوقها وتثنى على من ينعم عليها ؛ أو تتحرق بمديح لعله يبلغ إلى المسامع والآذان ، وكان الشعراء فى الطبقة المتوسطة تتقرب وتمدح وتتصل بالسياسة حيناً وبالمذاهب الدينية والاجتماعية أحياناً ، وتثنى إلى ذلك على القواد والعلماء والوجهاء .

وتفرقت بعد ذلك دول الإسلام شيعاً ، وتقسم الملوك مناطق العالم الإسلامى ، فازدادت موارد الرزق أمام الشعراء وتفتحت أبواب المديح لكثير منهم ، فزادت الوظائف — كما نقول اليوم — وأصبح لكل شاعر أن يطمح فى أن يسافر إلى أمير يكفيه ، أو ملك يلبيه ، أو قائد يحميه . وامتلأت دواوين المديح بقصائد طويلة ، اخترع الشعراء فيها حيناً ووقف خيالهم أحياناً ، فقد ألم إخوانهم قبلهم بكثير من المعانى ؛ وضاقت سبل الاختراع فأعادوا الصور